حوليات الجامعة التونسية

العدد العاشر

1973

تونس

حوليات الجامعة التونسية

مجلة للبحث العلمي

تصدرها الجامعة التونسية

المدير : الشاذلي بويحيى

رئيس التحرير : المنجي الشملي

هيئة التحرير :

الشاذلي بويحيى ، المنجي الشملي ، عبد القادر المهيري ، الحبيب الشاوش ، رشاد الحمزاوي ، المنصف الشنوفي ، محمد اليعلاوي

الاشتراك :

- تونس وبلاد المغرب العربي وفرنسا ..... 600 م
- غير البلاد المذكورة ..... 700 م
- ثمن العدد الواحد ..... 600 م

المراسلات المتصلة بالتحرير تكون بالعنوان التالي :

مدير حوليات الجامعة التونسية

الجامعة التونسية 94 شارع 9 افريل 1938 ـ تونس

الاشتراكات ومطالب المبادلات تكون بالعنوان التالي :

مصلحة النشر والمبادلات للجامعة التونسية

كلية الاداب ـ شارع 9 افريل 1938 ـ تونس

لا تلتزم المجلة بما ينشر فيها من آراء ، ويتحمل كل كاتب مسؤولية ما ينشره فيها

جميع الحقوق محفوظة

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية

OK 10 ع، 1973

الفهرس

الصفحة

علي الشنوفي : الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور 5
الشاذلي بويحيى : ريجيس بلاشير 11
المنجي الشملي : طه حسين 15

عبد القادر المهيري : خواطر حول علاقة النحو العربي بالمنطق واللغة 21
الطيب البكوش : « المنهل » وموقف المعاجم العربية من المفاهيم العصرية 37
رشاد الحمزاوي : طريقة ابن منظور في تحرير مادة « لسان العرب » 55
صالح المغيربي : الترجمة الذاتية وفن الرحلة في « التعريف بابن خلدون رحلته غربا وشرقا » 73
محمد سويسي : شرح صفحة من مقدمة ابن خلدون في العلوم العددية 87
محمد اليعلاوي : شعراء افريقيون معاصرون للدولة الفاطمية .. 95
الطيب العشاش : أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني : اخباره واشعاره 171

تقديم الكتب

1 ـ « **جلال الدين السيوطي ، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب** » ، تحقيق عبد الله الجبوري : (رشاد الحمزاوي) . 2 ـ « **ابن منظور الافريقي ، لسان العرب المحيط** » ، اعداد يوسف خياط ونديم موعشلي : (رشاد الحمزاوي) . 3 ـ « **تحديث العقل العربي** » ، تاليف الدكتور حسن صعب : (رشاد الحمزاوي) . 4 ـ « **التصريف العربي** » ، تاليف الطيب البكوش : (عبد القادر المهيري) . 5 ـ « **تاريخ النحو العربي حتى اواخر القرن الثاني الهجري** » ، تاليف الدكتور علي المكارم : (عبد القادر المهيري) . 6 ـ « **تاريخ النقد الادبي في الاندلس** » ، تاليف الدكتور محمد رضوان الداية : (محمود طرشونة) . 7 ـ « **أدب القاضي والقضاء** » ، تاليف : أبو المهلب هيثم بن سليمان القيسي ، تحقيق الدكتور فرحات الدشراوي : (الحبيب الشاوش) . 8 ـ « **محاولات في الاسلوبية الهيكلية** » ، تاليف م. ريفاتار M. Riffaterre (عبد السلام المسدي) .

« المنهـــل » (1)
وموقف المعـاجم العربية من المفاهيم العصريـة

بقلم : الطيب البكـوش

لئن كانت اللغة العربية غير مفتقرة إلى معاجم عربية-فرنسية ، بفضل ما قام به المستشرقون الفرنسيون من جهود عظيمة في هذا المجال ليسهلوا على طلاب العربية من الغربيين استعمال النصوص العربية وفهمها ونقل ما يختارون منها إلى لغتهم (2) ، فإنها بقيت — في مستوى المعاجم الفرنسية — العربية — تعيش مدة طويلة على معجم الأب بيلو (Belot) الذي ظهر لأول مرة سنة 1892 . ولئن كان هذا المعجم قد سد فراغا كبيرا — جعله يطبع عشرات المرات بعد ذلك — فإنه لا يفي اليوم بحاجة الباحث المختص أو المترجم ، فضلا عن التلامذة والطلبة ، وذلك انه بقي كلاسيكيا يجتر الكثير مما قد خرج من الاستعمال أو كاد ، تقريبيا في كثير من الاحيان .

ولقد وجب الانتظار طويلا ، إلى سنة 1970 لنرى معجما جديدا عصريا يبرز الى الوجود انيقا جذابا يبعث في النفس شيئا من الامل في تطـور العمل

(1) قاموس فرنسي —عربـي، تأليف سهيل ادريس وجبور عبد النور . بيروت . جويلية 1970. 1100ص .

(2) نذكر منها على سبيل المثال دون الحصر معجم كازميرسكي (1860) وملحق دوزي (1927) وما أخذ ينشره ر. بلاشير وجماعته أخيرا .

المعجمـي الازدواجي (3) ، وفي ان يكون المنهل ضالة الباحث والمترجـم في عصر تقدمت فيه العلوم على اختلاف أنواعها تقدما عظيما جعل رصيد كل منها من المصطلحات الحديثة لا يقل كما في بعض الاحيان عن الرصيد الاساسي ذاته . وقد اصبح لزاما على الباحث والمترجم ان يضيع وقتا ثمينا في البحث عن بعض المصطلحات المعربة اما في نشريات المجامع أو في ذيول المؤلفات والمترجمات أو في غضونها . وهو مجهود إضافي مرهق شاق — كانت توفره المعاجم لو أحدثت — كثيرا ما نفرّ من الترجمة إلى العربية ودفع بالبعض إلى الاعتماد على النفس وابتكار المصطلحات غضا من الطرف عما قد يكون وضع منها بعد . وهو أمر زاد الوضع اضطرابا فتعددت المقترحات وتكاثرت المترادفات فتعذّر التوحيد في هذا المجال أيضا بين مختلف البلاد العربية . وقد خلق هذا الوضع حاجة أخرى تتمثل في جمع هذه المصطلحات فنّا فنّا مع ذكر مراجعها واصحابها وتواريخها حتى لا يتكرر نقص المعاجم العربيـة الكلاسيكية في الناحية التاريخية منها وحتى يتمكن المستعمل من اختيار مـا يراه أصلح لموضوعه . وفي مرحلة ثانية يمكن القيام ببحث تواتري انطلاقـا من الاستعمال المطّرد يهيء للمرحلة الثالثة ، مرحلة الضبط فالتوحيد ، وهو ما لا يمكن أن يكون اعتباطا وإنما يجب ان يقوم على أساس من العلمية والتجرّد.

فأين المنهل إذا من كل هذا ؟

ليس المنهل معجم مصطلحات علمية — وان تضمن منها الكثير على عادة المعاجم الغربية في إيراد المستعمل من المصطلحات التي تخرج عن حلقـات المختصين لتصبح من الرصيد المتداول — وإنما هو معجم لغوي عام ، انطلق فيه مؤلفاه من « احدث » ما وصل إليه « النشاط المعجمي الفرنسي كله » واعتمدا في التعريب على ثلاثة أنواع من المراجع :

(3) وان كان قد سبقه المورد (عربـي–انكليزي) لمنير البعلبكي .

1 — المعاجم العامة وأهمّها المورد (انكليزي—عربي) لمنير البعلبكي .

2 — المعاجم المختصة (الخاصة بالمصطلحات الفنية العلمية) .

3 — الجداول (أي ذيول الكتب المختصة أو المترجمة واعمال المجامع اللغوية العربيـة) .

وقد تقيد المؤلفان كثيرا حسب ما يبدو من صفحات المقدمة الاربع بقرارات مجمع اللغة العربية المصرى وبقية المجامع اللغوية العربية ولا سيما في تطبيق الاشتقاق القياسي والنحت والمجاز والتعريب (مع موافقة الاوزان العربية قدر الامكان عند الضرورة) . وقد جعلهما ذلك يقترحان أحيانا ألفاظا جديدة لسد مواضع الشغور في العربيـة مثل مَفْهَمَ (Conceptualiser) أو بنائيّة (Constructivisme) أو ديوانيّة (Bureaucratie) . ولعله كان يكون من المفيد ذكر نسبة هذه الألفاظ في المقدمة انطلاقا من نسبة المفاهيم .

ولعل من أبرز ما يمتاز به هذا العمل ترجمة معنى العبارات الخاصة ولا سيما إذا كانت اصطلاحية أو حضارية أو « اديومـيّة » (idiomatique) كما في الأمثلة التالية : Sondage * سَبْر (تحرّي عمق الطبقات الارضيـة وغيرها) . (Socialisme) * اشتراكية (نظرية اقتصادية واجتماعية وسياسيـة تدين الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وتوزيع السلع) الخ ... كما يمتاز بالاهتمـام الواضح بالناحية السياقيّة حيث يختلف معنى اللفظ الواحد باختلاف السياق والعبارات التي يرد فيها ، فيذكر منها اشهرها استعمالاً مقدما مقابلها في العربية (مثل Coups du sort نوائب الدهر) أو ترجمة معناها ان لم يكن لها مقابل خاص (مثل Coup de théâtre* حادث مفاجـىء) .

وقد وفق في أكثر الاحيان وان ضعفت الترجمة في بعضها (مثل acheter à l'essai* اشترى تحت التجربة) . فالعربية تميل في مثل هذا السياق الى حرف الجر «على» أو «بـ» (بشرط التجربة ...) . ولعله وقع هنا توسيع استعمال

«تحت» التي بدأت تأخذ في لغـة الصحافة مكان بـ قياسا على اللغات الاوروبية كالفرنسية في مثل « تحت عنوان » ، « تحت رئاسة » ، « تحت الحكم الاجنبـي » ...

وان استعمال أدوات الربط وخاصة حروف الجرّ في حاجة إلى دراسة إحصائية من خلال النصوص القديمة والحديثة لتبيّن تطوّر استعمالها .

وإن شرح الالفاظ بالعربية أو بالاحرى ترجمة أهم معانيها كما وردت في المعاجم الفرنسية — بعد ذكر اللفظ المقابل بالعربية — لمن شأنه ان يثري المعاجم العربية الصرف اثراء لا يستهان به لفقرها عادة وقلة دقتها في تحديد المفاهيم والمسميات ؛ فكثيرا ما نجد في القواميس العربية تفسيرا غامضا أو تقريبيا بعبارة غامضة أو تقريبية أيضا مثل :

ضبّب البابَ : « جعل فيه ضبّة » وتبحث عن ضبّة فتجد « حديدة أو خشبة يضبّب بها الباب » فلا تفهم المعنى الدقيق وإنما تفهم فهما تقريبيا . أو تفسر لك المطفأة بـآلـة الاطفاء بينما يدلك الوزن على معنى الالة . أو يقال لك « معروف » فتكثر العبارات من نوع « شجر معروف » و« طعام معروف » و« نوع من السمك » الخ ....

وان تفوّق المعاجم الاوروبية في هذا المجال لا جدال فيه ، وهو ما يجعل الترجمة عنها في ما يقبل الترجمة — وهو كثير — أمرا واضح الفائدة ثابت الجدوى . وانه لممّا يضاف إلى محاسن هذا المعجم وفوائده الجمّة إلى جانب الشجاعة والاقدام على محاولة ترجمة كل ما يوجد في القاموس الفرنسي بدون مركب النقص أو الخوف من ثقل المسؤولية . وهو ما يثير الاعجاب حقا ، على ان المنهل لم يخل من هفوات وهنات يحسن ان نشير إلى أهم أنواعها :

1 — لم يخل هذا العمل من ضعف الترجمة وانعدام الدقة فيها أحيانا وهذه بعض الأمثلة من ذلك :

(casse-croûte) * فطور ، طعام خفيف . وهي عبارات لا تؤدى مطلقا معنى اللفظ ، مع ملاحظة ان بعض النصوص الحديثة حاولت ان تُحْيِيَ لفظة قديمة تقابل تقريبا نفس المعنى وهي « لمجة » (ما يتعلّل به قبل الطعام) .

(carrefour) * مفرَق طرق ، ملتقى طرق .

(biburcation) * مفرِق طرق .

في هذين المثالين ، إلى جانب تكلف تنويع الحركة في مفرق بدون ان يقابل ذلك تنوّع حقيقي في المعنى ، نجد خلطا بين المفهومين إذ يقابل اللفظ الاول ملتقى طرق ويقابل الثاني مفرق طرق .

2 — ولعل صعوبة إيجاد اللفظ المقابل الدقيق هي التي جعلت الترجمة تميل أحيانا إلى حل السهولة وذلك :

أ — بذكر لفظ عام ، أو بالدخيل ذاته ، وهو أحسن من التعميم المخلّ كما في :

(cocktail) * كوكتيل ، اسفنط . فالاسفنط لفظ قديم دخيل يوناني الاصل يدل على أجود الخمر أو المطيّب من عصير العنب ، بينما المعنى الاساسي في الكلمة الأجنبية هو الخليط من المشروبات . ومعنى الخليط عموما تؤديه كلمة « كشكول » التي تبقى أقرب على كل حال من الاسفنط ثم هي تستعمل اليوم أحيانا . على ان دخيلا عصريا خير من دخيل قديم خرج من الاستعمال .

ب — باللجوء إلى الشرح وحده دون ذكر اللفظ المقابل وان وجد احيانا مثل (prémolaire) التي شرحت وترجمت بـ « ضرس أمامي للطحن » بينما العرب يسمّون هذا الضرس « الضاحك » .

3 – وكثيرا ما تظهر صعوبة التدقيق في مظهرين متناقضين (4) :

أ – أولهما تعريب مجموعة من المفاهيم المختلفة بلفظ واحد مثل «علم الاصوات» مقابل (phonétique) و (acoustique) بينما هو أنسب إلى لأول . ويمكن تعريب الثاني بالسمعيات أو العلوم السمعية وما إلى ذلك اشتقاقا من السماع حتى يجتنب اللبس والغموض . ومن ذلك أيضا ، في نفس السياق ، استعمال صيغة « صوتي » مقابل (phonique) و (phonétique) و (phonémique) . ولئن أمكن دمج اللفظين الأولين في لفظ عربي واحد لشدة تقاربهما في المعنى ، فإنه لا يمكن البتّة إلحاق الثالث بهما لأن له بعدا آخر يميزه عنهما تماما إذ هو ليس نسبة إلى السمع ولكن إلى الصوت الوظيفي وهو ما نقله اللسانيون العرب المعاصرون مثل ابراهيم انيس في « الاصوات اللغوية » كما هو « فونيم » فتكون النسبة إليه « فونيمي » أو ما اقترح صالح القرمادي ، في ترجمته لدروس جان كنتينو « دروس في علم اصوات العربية » (تونس 1966) ، تعريبَه بـ « صوتم » فتكون النسبة إليه « صوتمي » .

ب – ثانيهما ، وهو عكس المظهر الأول ، تعريب لفظ أجنبي واحد بمجموعة من الالفاظ العربية ، مثل (ton) * نبرة ، صوت ، نغمة ، رنة صوت ، أسلوب . وواضح ان كل هذه الالفاظ تقابل اللفظ الاجنبي الاصطلاحي المتعلق بالميدان اللغوي فحسب ، فهي إذا لا ترجع إلى تعدد معاني اللفظ الفرنسي في الاستعمال العادي حيث اقترحت بالطبع عبارات أخرى خاصة بكلّ سياق مثل لهجة ، سلوك ، طريقة ، طبقة ، خانة ، فارق ، متانة ، أدب ، عادة ....) .

(4) هذا التناقض يرجع إلى صعوبة كبرى في الترجمة اطلاقا ، بقطع النظر عن نوع اللغة المترجم عنها أو اليها ، تتمثل في ما تعبر عنه الألسنية الحديثة باختلاف اللغات في تقطيع الواقع (découpage de la réalité) ولعل هذا ما يعبر عنه عادة بشيء من الغموض بعبقرية اللغة (génie de la langue) وان ضعف وعي المؤلفين هذه الظاهرة ألسنيا هو الذي جعلهما يعالجانها بشيء من الاضطراب والتناقض أحيانا ، وان وفقا غالبا في استغلال إمكانيات اللغة العربية استغلالا ذكيا جدا ، وفي محاولة تفجير طاقات اللغة تفجيرا حملها على التعبير بأكثر ما يمكن من النجاح .

ونظرا إلى أن لكل هذه الالفاظ الاصطلاحية مقابلا أجنبيا اصطلاحيا : نبـرة * (accent tonique) ، صوت * (son) ، نغمـة * (intonation) اسلـوب (style) (بخروج رنـة صوت لانهـا ليست مصطلحا) فان تعـدد الاقتراحات إلى جانب الغموض والالتباس لم يوفـق في إيجاد لفظ دقيـق ضمنها جميعا يمكن ان يقابل * (ton) وهو لفظ ، إذا انطلقنا من معناه الدقيق من حيث علم الاصوات ، نرى أن خير ما يقابله هو «طبقة» باعتبار دلالة اللفظ الاجنبي على ظاهرة صوتية «هامشيّة» أو «فوق التقطيعيـة» (Suprasegmentale)

تـوجد في بعض اللغـات كالصينيـة حيث الطبقـة الصوتيـة يمكن ان تميز مقطعا عن آخر يتركب من نفس الاصوات ، فلا يختلف معنى الكلمتين الا باختلاف طبقة الصوت الموسيقية .

ولئن كان في هذا الخلط عذر لتعلق الامر بمبادىء علمية حديثة جدا ، فإنه لا مبرر فيما يبدو لنا لوجود الخلط في كلمات عاد يةمثل (pelle) التي عرّبت بمجرفة ورفش ومسحاة ، فمجرفة عامة جدّا . ومسحاة التي بقيت حتى في اللهجات ، (مِسَحه في تونس مثلا) ، تقابل (bêche) و كذلك (houe) فرفش وحدها هي التي تقابل إذا اللفظة الاجنبية . وقد ترجمت (houe) بمجرفة أيضا مع معزقة ولم تذكر مسحاة بينما هي أنسب لها . ونجد نفس الظاهرة تقريبا في ترجمـة (fréquence) التي قوبلت بخمس عبارات عربيـة دون موجب لان اللفظ الفرنسي يحتفظ بنفس المعنى الاصطلاحي تقريبا وان تغير السياق . فالفويرقات المعنوية الموجودة يمكن ان يؤديها لفظ عربي واحد مثل « تواتر » .

وينتج عن هذا التعدد اللغي كثيرا ما لا يكون له مبرر مقبول منافاة لمبدا الاقتصاد والدقـة في التمييز بين المفاهيـم كما في ترجمـة (sondage) بـ : سبر واستبار وارجاس وقياعة واجراء تحقيق في الرأي العام ، بينمـا

لفظة « سبر » وحدها تكفي إذ يفهم نوع السبر من السياق (في البحر أو في المجتمع الخ ...) .

4 — ويُمكن ان نشير بايجاز إلى بعض الاخطاء وان كان لا يمكن ان يخلو منها عمل مطبعي . من ذلك شكل عين المضارع في رن بضمة بينما هي كسرة (résonner) . ومنهـا أيضا (revenir) والصحيـح (revernir) و (specto-gramme-graphe) والصحيح (spectro) الخ .

5 — ومما يلاحظ أيضا ان المؤلفين قد يلجـآن إلى اللهجة اللبنانيـة الحديثة — واللجوء إلى اللهجات ذو جدوى لا مثيل لها لسدّ فراغات الفصحى — ولكنهما لا يذكران ذلك مطلقا كما لو كان عيبا يتستّر منه ، بينما اختلاف اللهجات يبرّر ذكر الاختيار . ونقتصر في ذلك على مثال واحد لتوضيح هذا الامر وهو لفظ (rouget) (سمك بحري) عرّباه بـ« سلطان إبراهيم » وهـي تسمية شاميّة (لبنان ، سوريا ، فلسطين) .

واضافا إليها للاختيار ، « طرستوج » وهي فارسية قديمة فقدت دقتها اذ تقابل أيضا (mulet) (إلى جانب بورى) حسب لسان العرب المحيط وملحـق دوزي ، فضلا عن ثقلها وتنافر مخارج حروفها . وللمؤلفين الحق في اختيار لهجتهما ولكن يحسن ذكر ذلك لاجتناب الالتباس حتى لا يظنها المستعملون للقاموس من أصحاب اللهجات الاخرى فصيحة أو قديمة . فلا مبرر لـمَا يَهْـمَا لاستعمال لفظ عامـي شامـي في حين تستعمل اللهجات العربية الاخرى ألفاظا أخرى (قد تكون أخف أو أكثر شيوعا في بعض الاحيان) . وهذه على سبيل المثال أهم أسماء هذا السمك في اللهجات العربية الاخرى (5) :

(5) انظـر : G. *Oman*, l'itıonimia nei Paesi Arabi del Méditerranéo إيطاليـا 1966 ص 98 .

مصر : بربوني (— حجر ، — بوريش) .

ليبيا
- بربـــون
- تريليـــا

تونس
- تريليا أو حمـرة (بنزرت)
- بوقتيط أو بوكيت (جربة)
- ملّـــو أو أحمـــر (صفاقس)

الجزائر
- تربـــل
- روجـــي

وهكذا تبدو كلمة تريليا اكثر انتشارا جغرافيا وهي من الايطالية (triglia) وإن كانت لغة البحر عـادة مشتركـة بين ضفـاف البحر الابيض المتوسط ممـا يجعل ضبط الآخذ والمعطـي في بعض الاحيان امرا عسيرا .

وان تجاهل اللهجات العربية الاخرى ولا سيما المغربية منها جعل المؤلفين لا يتفطنان أحيانا إلى كلمات فرنسية شعبية من اصل عربـي فلم يعلّماها كالعادة بنجمة ، من ذلك (Kif-Kif) التي ترجمت بـ : شبيه ومثيل والامر نفسه . وهي من العربية المغربية : كيف كيف أي هو هو ، نفس الشـيء ، لا فرق ... وقد نبهت القواميس الفرنسية على أنها عربية الاصل .

وما يقال في اللهجات يصح أيضا في سائر المستويات اللغوية الاخرى من الفصحى مثل لغة الصحافة والرياضة والادارة حيث لم يقع الاعتماد الا على المشرق أو بعضه في حين قد يوجد في المغرب ما يسد بعض الفراغات . من ذلك احتياج المؤلفين إلى اقتراح لفظة «ديوانيّة» مقابل (bureaucratie) في حين أنه يوجد لفظٌ جارٍ في الاستعمال وان كان دخيلا مغربا وهو بيرقراطية . ولا مبرر لاهماله اذ لا يختلف في شيء عن ديمقراطية التي هضمتها العربية العصرية .

وعلى كل ، فان تردّد المؤلفين بين القديم والحديث من ناحيـة واللهجات وما يقترحانه بنفسهما إلى جانب خضوعهما المطلق لقرارا ت المجامع العربية من نواح أخرى يثير مجموعة من القضايا المنهجية التي يكون مـن المفيد تحليلها في نطاق عرض نقدي كهذا الذي نقدّم .

ويمكن ان نرجع هذه القضايا إلى مجموعتين كُبْرَيَيْنِ متكاملتين تتمثلان في معايير الاختيار إذا تعددت المصطلحات المقابلة لمفهوم واحد وثانيا في كيفية ملء الشغور اللفظي بالنسبة إلى المفاهيم الحديثة .

فإذا تعددت الالفاظ المترادفة كان لنا أكثر من دال لمدلول واحد . ويمكن أن نرجع أهم اصناف الالفاظ في هذه الحالة إلى أربعة مصـادر رئيسيّة :

ـ الاستعمال القديم : وهو يعتبر اليوم فصيحا لا لشـيء الا لأنه قديم سواء أكان دخيلا ام عاميا ام مولّدا بالاشتقاق أو غيره .

ـ الاستعمال الحديث في مستوى المكتوب : وهو خاصة ما وضعـه المترجمون والمجمعيون أو ما عربوه من الدخيل ليسهل إقحامه في نظـام اللغة .

ـ الاستعمال الحديث في مستوى المقول : وهو ما تستعمله اللهجات العربية الحية مما ابتدعته أو هضمته من الدخيل .

ـ الدخيل الذي لم تهضمه اللغة بعد ، ويشعر المستعمل أنه دخيل يملأ فراغا مؤقتا ويكون خاصة في مستوى المكتوب .

وبديهي ان تعدد الدوالّ (6) للمدلول الواحد ، ينتج عنه اصطدام في الاستعمال بين هذه الدوال وصراع قد يطول سنينا وقد يدوم اجيالا وقـد يكون سجالا فيُستعمل اللفظان معا ، وقد يختص أحدهما بلغة الكتابة والاخر

(6) اخترنا صيغة الجمع دوال (م دال (Signifiant) ، لتمييزه اصطلاحا عن جموع أخرى من نفس المادة لها معان أخرى وخاصة أدلة ودلائل .

بلغة الحديث ، وقد ينجرّ عن التزاحم اختصاص كل واحد بمعنى دقيق بفضل فويرقات في المعنى أو الاستعمال . وقد تَنتَهِي المعركة بغلبة أحدهما فيموت المغلوب ويزداد الغالب قوة وحياة ورسوخا في اللغة . وان تاريخ اللغات لحافل بمثل هذه المعارك في كل زمان ومكان . وان من واجب المعجميين اليوم ان يراعوا هذه الظاهرة في اختيارهم حتى تكون هذه الاختيارات مبنية لا على الاعتباط وإنما على معطيات لغوية موضوعية تحتم الاهتمام بخصائص كل صنف من الاصناف الاربعة :

1 — فالاستعمال القديم تتمثل نوعيته في انه قديم لا أكثر ولا أقل ولا يمكن بحال ان يعتبر فصيحا أو أفصح لانه قديم . فلئن كانت صفة القدم تضفي على الاشياء صبغة القداسة فان تلك « القداسة » لا يعقل ان تنتقل من ميدان العواطف والاهواء إلى ميدان البحث والعلم اللذين لا يكونان كذلك الا بالموضوعية والتجرد . وان هذا الضرب من « السلفية » اللغوية ليميز اليوم كثيرا من المجمعيين العرب وممن يهتمون باللغة العربية مشرقا ومغربا . وانها لنزعة لم تعد ملائمة للعصر الذي نعيش فيه لما تقوم عليه — إلى جانب العاطفة — من تناقض ظاهر : فكيف يمكن ان نفضل مثلا لفظا دخيلا قديما ميتا على لفظ دخيل حديث حي فنعمد إلى نبش قبور الالفاظ محاولين عبثا بث روح جديدة في جثمان ابلاه الزمن ، معرضين عما يتحرك في اذهاننا ويتردد على ألسنتنا والسنة اطفالنا من ألفاظ عصرية فيها روح العصر وطاقته التعبيرية ! وكثيرا ما نجد اليوم في العالم العربي من ينادى : قل ولا تقل (7) فيفضل « جزمة » التركية على « بوط » (bottes) الفرنسية العصرية . ويفضل « شوذر » الفارسية الميتة التي كانت تدل على ملحفة نسائية طويلة كالمعطف ، على «شورط» (short) الانقليزية الاصل التي تدل على معنى يختلف كل الاختلاف (فهو سروال ضيق قصير جدّا) .

(7) انظر في ذلك مثلا « قل ولا تقل » نشر المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي . الرباط 1969 .

ويفضل « شنان » (ولا نعرف لها معنى أو أصلا) على « دُوش » الفرنسية (douche) ويفضل « تبّان » القديم (من الفارسية تَنبَان) على « كلسون » الحديث من الفرنسية (caleçon) ، وشنان حسب الجوهري « سراويل صَغِيرٌ مقدار شبر يستر العورة ... يكون للملاحين » . وقد كان إلى جانب هذا يدل في الفارسية على سراويل من الجلد يلبسه المصارعون) . ان اشباه هـذه الامثلة ليعد بالمـات .

ولم يخل المنهل من مثل هذه النزعة في كثير من المواطن وان كانت اقل استفحالا مما نجد في كتب اللحن وكتب « قل ولا تقل » . فقانون التطور يعمل لفائدة ما كان مستعملا حيّا لا لما خرج من الاستعمال فمات ، وإن كان الإحياءُ ممكنا في حالات سنراها بعد هذا .

2 ــ الصنف الثاني من الالفاظ وهو المتعلق بالاستعمال الحديث في مستوى المكتوب ، مما اقترحه المترجمون والمجمعيون وغيرهم لمقاومة الدخيل مثل (وهي في نفس المصدر السابق) :

مقبس الكهرباء عوض بريز (من الفرنسية prise)
وقدر كَتُوم عوض كوكوت (cocotte-minute)
وأطرية عوض مكرونه (macaroni)
وعَسُوم عوض بِسكُوت (biscottes)
وهشِيش عوض بشكوتو (biscuits)
وشعارة مقابل (sous-vêtement)
ودَمغة مقابـل (quittance)
ومثبنة مقابـل (sac à main)
ورَوسَـم مقابـل (cliché)
ومِفـك مقابـل (tourne-vis)
وسيارة الكشط مقابـل (voiture décapotable)

وساهره أو سامرة مقابـــل (veilleuse)
إلى غير هذه الامثلة وهي مِـآت .

ولا حظّ لاغلب هذه الالفاظ من الحياة ، ولن تعيش الافترة وضعها أو بعثها إذ لا قدرة لجلّها على منافسة ما كان حيا بالاستعمال وهو :

3 — الصنف الثالث المقول : وهو أساسا ما تستعمله اللهجات العربية العصرية ؛ فهو اما دخيل عربتة اللغة وهضمته مثل :

تَلْفَزَة ← تلفز يتلفز تلفزة (télévision, téléviser)
تَلَفُـون ← تلفن يتلفن تلفنـة (téléphone, téléphoner)
دُوش ← دوّش يدوّش تدويش (douche, prendre une douche)
فلم ← فلمات وافلام (film)

او عبارات عربية وضعت للتعبير عن مفاهيم عصرية أجنبية مثل :

سحابة سحايب (في تونس) (parapluie)
مشمّع « (toile cirée)
صاروخ ، صواريخ (fusée)
قمر صناعي (satellite artificiel)
مركبة فضائيـــة (vaisseau spatial)

وكثير غيرها ؛ وان حظها من الحياة قوي جدا ومن العبث أن يحاول المتفصّحون طردها من اللغة ، فالاستعمال الحي يفرضها فرضا في مستوى المقول ان لم يتجاوزه إلى المكتوب .

4 — الصنف الرابع الأخير هو الدخيل الذي يبقى على هامش اللغة كالمصطلحات الفنية لأنه لا يتعلق بحاجة الاستعمال اليومي . فهذا الميدان يمكن للمجمعيين وغيرهم ان يطلقوا لأنفسهم فيه العنان بحرية أكثر لان ما يقترحونه يجد فراغا نسبيا يسارع إلى ملئه بدون منافسة .

وهكذا يمكننا بعد هذه المقارنة السريعة ان نجيب عن السؤال المطروح سابقا في معايير الاختيار عند تعدد الدوال وكيفية ملء الشغور اللغوي : ان ما نلاحظه هو ان هذا العمل الذي هو ضرب من العلاج لا تحتاج إليه الا اللغة التي نسميها « الفصحى » . اما لغة الحياة اليومية فإنها تنظم نفسها بنفسها لأن تطورها مرتبط شديد الارتباط بتطور الشعوب التي تستعملها ، فهي لا تخضع للنحاة واللغويين وتواصل مسيرتها مستقلة عن « الفصحى » التي هي لغة رسمية قبل كل شيء ، لا تقترب من العامية الا في النواحي الحية منها كلغة الصحافة والاذاعة ... ولكنها مقيدة إلى حد ما بمشيئة النحاة في مستوياتها الفنية فلا تتطور بنفس الحرية ولا نفس السرعة ، لذلك فهي متأخرة نسبيا عن ركب الحضارة العصرية . ولذلك هي في حاجة مستمرة إلى العلاج . وما دام العلاج لم يخرج من المجامع والمعاجم ليدخل الاستعمال الحي في أهم ميادين الحياة كالتعليم والادارة والإعلام وغيرها فإنه يبقى ناقصا مصطنعا .

وعلى هذا الأساس ، فإنه كلما وجد شغور في اللغة الفصحى ، يجب ان لا يغفل المترجم عن تمييز نوعين من الشغور نرى انه كثيرا ما تقع الغفلة عنهما . الاول هو ما يمكن تسميته **بالشغور المطلق** الذي لا مقابل له في العربية بجميع مستوياتها ، فالمترجم يجد نفسه حر التصرف نسبيا ازاءه . وله ان يختار ما يراه اصلح من الطرائق المعمول بها منذ عصور الترجمة قديما والتي اقرّتها المجامع الحديثة وطورتها منذ بدء عصر النهضة . ولا نرى فائدة في تحليلها هنا لأنها معروفة لدى كل من يهتم بشؤون اللغة ، ويمكن الرجوع ، للالمام بها وبخصائصها ، إلى أطروحة الاستاذ رشاد الحمزاوي عن مجمع القاهـرة (8) .

أما الثاني ، فهو **الشغور النسبي** ونقصد به الشغور في مستوى لغة الكتابة دون لغة الحديث اليومية . ومما يلاحظ في هذا الشأن ان الكتاب والمترجمين

(8) R. Hamzâwi, l'Académie arabe du Caire, Histoire et oeuvre, Tunis 1972 — Thèse dactylographiée (Sorbonne).

كثيرا ما يعرضون عن الالفاظ المستعملة في اللهجات ولو كان لا مقابل لها في الفصحى فترى الكثير منهم يستعمل عبارات عربية عامة لا تدل على شيء دقيق فتُفقد التعبير كل قيمة وطلاوة ودقة مثل « لبس الطفل ثيابه » بينما المقصود أمر أدق (كالفيسته أو البلوزة أو الكبّوط أو الترنشكوت أو الامبير الخ) ، ومثل « حساء » بينما المقصود طبخ اخر يختلف (مثل المخمّص أو الشربة أو البوتاج (potage) أو الدويدة الخ) . وكثيرا ما يفرّ الكاتب حتى من الكلمات العربية الفصحى لا لشيء الا لأنها مستعملة في العامية أيضا مثل شباك فيستعمل نافذة مكانها ، ويفضل رمى على حذف لقربها من حذف العامية .

وتشمل هذه الظاهرة حتى الابنية الصرفية : فلا أحد يقول اليوم « كِلمَة » لانها توجد كذلك في العامية ، فيفضل عليها كَلِمَة التي تبدو أفصح لأنها خاصة بالفصحى .

وعلى هذا الاساس نفسه يفضل المتفصّح العربي اليوم مقبرة على جبّان (التي استعملها الجاحظ وغيره كثيرا) . ويفضل مُبلَّل على مبلول ، ولبُؤَة على لَبْوَة ودمٌ على دمّ ولَعِب على لِعْب وكُسوة على كِسوة ومحفظة على مَحفظة ، في حين ان كل ذلك عربي فصيح ، اغلب الظن ان جلّ العرب قديما كانوا يفضلون منها ما كان أخف واقل مقاطع وهو عينه ما تفضله اللهجات الحديثة . بل ان ظاهرة التفصح تبدو حتى في تحقيق الهمزة تحقيقا تاما حتى في أشد حالاتها ثقلا في حين ان تحقيقها لم يكن الا ظاهرة بدوية لدى بني تميم وأمثالهم بينما الحجازيون ومنهم أهل قريش ينزعون إلى تخفيفها فيفضلون راس على رأس ويا كل على يأكل . وانه لمن الطريف المفيد دراسة هذه الظاهرة بصفة إحصائية شاملة .

فالكاتب العربي اليوم يميل إلى التفصح غفلة عمّا هو مشترك بين اللغتين وأحيانا عن قصد لأنه يخشى ان يتهم بالعامية لاعتقاده ، أو لظنه ان الناس

يعتقدون ، أنه كلما ابتعد عن العامية اقترب من الفصاحة وان معيار الفصاحة هو بالتالي في تجنب العامية .

فالاعراض عن لفظ عامي بصفة مبدئية لسد شغور في الفصحى ليست نتيجته كما يظن ، المحافظة على فصاحة الفصحى وسموّها وصفائها ورونقها وانما نتيجته الحقيقية تجميد الفصحى وتوسيع الهوّة الفاصلة بينها وبين اللهجات الحية وحرمانها نتيجة ذلك من عناصر تغذيها هي أشبه شيء بالخلايا الشابة الحية التي تجدد دمها وتدعم طاقاتها التعبيريّة وتمكنها من التطور المستمر ، هذا فضلا عن التأثير النفسي البيداغوجي بالنسبة إلى الطفل الذي تبقى الفصحى لديه كاللغة الاجنبية مادامت بعيدة عن لغته الاولى لغة المهد والام فلا مراء في أنه كلما اقتربت الفصحى من لغته كان اقدر على هضمها وامتلاك أعنّتها (9) .

ونستنتج من كل هذا انه من الضروري القيام ببحوث لغوية بطرق عصرية تهدف أولا إلى وصف المستويات اللغوية العربية بجميع أنواعها وبدون أي ميز أو تعصب أو أفكار مسبقة ، وذلك لمعرفة أوجه الاتصال والانفصال والتشابه والتخالف بين الفصحى والعامية في مستوى المعجم وكذلك بالخصوص في مستوى التراكيب . وليس معنى هذا أن كل شغور في الفصحى لا بدّ ان يسدّ باللفظ العامي في جميع الحالات وجميع المستويات ، فاللساني بمعاييره العلمية والكاتب بذوقه وحسه ، قد يفضلان إحياء لفظ قديم أحيانا على استعمال لفظ عامي . وانه لمن المفيد جدّا دراسة الالفاظ التي وقع إحياؤها بنجاح فتمكنت من أخذ مكانها في نظام اللغة المعجمي .

---

(9) انظر في ذلك بحث :

S. Garmadi, A. El Ayed, A. Attia, A. M'hiri, « Etude linguistique des deux premiers livres de lecture arabe en usage en Tunisie », cahiers du CERES, série linguistique 1, Tunis 1968, 148 p.

على أنه يمكن القول بأنه من العسير جدا ان لم يكن من المحال ان تصمد « التساخين » أمام « بنتوفل » (pantoufles) أو « الروسم » أمام « الكليشيه » أو « الاطرية » أمام « المكرونة » أو حتى « الشريحة » أمام « البيفتاك » .

وإن لعامّة المتكلّمين في الغالب احساسا لغويا لا شعوريا يمكنهم من الاختيار الجيد والتطوير الملائم ، كثيرا ما يفقده المثقفون والمزدوجو اللغة ، في حين ان فهمه فهما عميقا يساعد اللغوي والاديب على الاختيار المناسب الذي يكون له حظ من النجاح والتأثير والبقاء .

ويمكننا الان ان نختم بالإجابة عن السؤال التالي : ما هو موقف المعاجم العربية من مثل هذه المشاكل ؟

ليس من شك في ان كل عمل معجمي يريد ان يكون اليوم علميا هو في حاجة إلى ان يسبق ببحوث معجمية أساسية تقوم على المعطيات التالية :

1 — وصف اللغة وصفا مجردا في جميع حالاتها في أهم فتراتها التاريخية وفي جميع مستوياتها (علمية أو أدبية ، فصحى أو عامية ...) . وهذا الوصف هو الذي يعرف اليوم في الالسنية الحديثة بالوصف « السنكروني » (synchronique) (أو الآنيّ) .

2 — مقارنة هذه الحالات زمنيا بضبط التواريخ لتبيّن التطور اللغوي واتجاهاته وهو الوصف « الديكروني » (diachronique) (أوالزماني) .

3 — مقارنة مختلف المستويات لتبين الاصناف اللغوية ومدى اتصالها أو انفصالها لمعرفة نوع العلاقة بينها ولابراز علاقات التقابل أو التكامل خاصة وذلك بابراز نسب التماثل والتقارب والتخالف في مستوى الدوالّ ومدلولاتها وكذلك بابراز مواطن الشغور بالنسبة الى كل صنف من اصناف اللغة المعنية من ناحية وبالنسبة إلى اللغات الاجنبية من ناحية أخرى . ومن البديهي ان هذا

الوصف يجب ان يشمل جميع البلدان المستعملة للغة العربية فصحى وعاميـة وان يهدف إلى ايجاد **اطلس لغوي** شامل على غرار ما يوجد في بعض البلدان الغربية المتقدمة . وانه لو خصصت الجامعة والمجامع والجامعات العربية جزءا من الوقت والنشـاط والنفقات التي بذلتهـا وتبذلها للقيـام بمثل هذا العمـل لخدمت اللغة العربية وبالتالي المعجمية والتعليم والثقافة العربية خدمة جلّى بعيدة الاثر ، تتجاوز ابعادها بكثير ما قامت به إلى حد الآن . وانه لعمل لا يمكن ان تقوم به الا جماعات عديدة من الباحثين المختصين من ذوى التكوين العصري . وعندها يكون تأليف المعاجم العربية العصرية أمرا ميسورا . أما والبحوث اللّغوية العربية تشكو اليوم هذا النقص الفادح فان كل عمل معجمي لا يمكن ان يكون الا ناقصا جدا بحكم الضرورة ويكون القيام به ضربا من التضحية أو البهلوانية . وفي هذا دليل على ضخامة المجهود الذي بذله صاحبا « المنهل » ولا سيما أنهما ليسا من ذوي الاختصاص في اللغة بالمفهوم العصري لذلك .

وعلى كل فإنه لا يمكن القعود في انتظار إنجاز مثل هذا المشروع الضخم فلم يكن بد من التشجع على اقتحام الميدان والاقدام على خلق هذا « المنهل » وقد حان حينه واصبحت اليوم الحاجة إليه ماسة جدا . وفي هذا ما فيه مـن اقرار بفضل المؤلفين اللذين استطاعا رغم كل العوائق والنقائص ان يقدّما « منهـلا » عصريا شكلا ومحتوى .

الطيب البكوش